

## أسلوب الحوار الثقافي الناجح مع الآخر في القرآن الكريم حوار النبي موسى (عليه السلام) مع فرعون وملاه أنموذجا

أ.م.د خولة مهدي الجراح<sup>١</sup>

أستاذة مساعدة بكلية الفقه، جامعة الكوفة

تاريخ الإستلام: ١٣٩٧/٦/١ | تاريخ القبول: ١٣٩٨/٢/١١

### الملخص

انطلاقاً من قول الإمام علي (عليه السلام) (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه، ألا إن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دوائكم ونظم ما بينكم) (الرضي، ١٤١٤ هـ، خ: ١٥٨، ٢٥٦) فإن القرآن لن ينطق إلا باستنطاق الآيات من خلال ربط بعضها ببعض والخروج بنتيجة وهي إجابة القرآن عن أي سؤال أو موضوع أو مشكلة، ذلك أن القرآن كتاب دائم للجميع يخاطب الناس كلهم ويرشدهم إلى مقاصده، وقد تحدى في الكثير من آياته العقل البشري على الإتيان بمثله واحتج بذلك على الناس، ووصف نفسه أنه النور والضياء والبيان لكل شيء، فمما يعانیه مجتمعنا الإسلامي والعراقي هو أسلوب الحوار الثقافي الناجح مع الطرف الآخر مستفيداً القرآن الكريم واخترنا من القضايا القرآنية الكبرى قضايا حوار النبي موسى (عليه السلام) مع فرعون وملاه لنحصل على نتائج عملية وميدانية لتطبيقها في مجتمعاتنا الإسلامية.

**الكلمات المفتاحية:** أسلوب الحوار، الحوار الثقافي الناجح، الطرف الآخر، القرآن الكريم، حوار موسى

(ع) مع فرعون.

<sup>١</sup>. E-mail: khawlahm.shakir@uokufa.edu.iq

ومن أهم المشاكل التي يعاني منها العالم أجمع والوطن العربي بالأخص والعراق بالخصوص هي مشكلة الحوار غير المجدى وعدم تقبل أحدنا الآخر، بل يعمل بعضهم على سياسة القتل والإقصاء، مع العلم إن القرآن الكريم قد تحدث عن التآلف بين الناس (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣)

والكلام الذى ذكرناه من الإمام على (عليه السلام) جاء ليبين أهمية البحث القرآنى، وكيف نستطيع استنطاق القرآن الكريم من دون أن نتدبر فيه ونشور معانيه وهو يقول فى نهاية حديثه (ونظم ما بينكم) أى تنظيم أموركم الداخلية والتفاهم فيما بينكم. وبما أن الحوار من أهم ما ينظم حياتنا الاجتماعية وأمورنا الداخلية لذلك يمكن لنا من خلال القرآن الكريم معرفة آليات وأساليب الحوار الناجح واستخلاص نظرة القرآن الكريم عنه.

ومن أهم الأسباب التى جعلتني اختار هذا الموضوع هو ما يعانيه العراق على شتى الأصعدة من اختلاف التيارات الدينية وعدم تفهم وتقبل الآخر، والآخر متعدد فى العراق من الناحية الدينية والسياسية، فأدى ذلك إلى ضعف الحوار فيما بين طوائفه، وهذا أفضى إلى فشل الحوار فأصبح سلبيا بدلا من أن يكون ايجابيا.

لذلك يحث البحث الجامعات و المراكز البحثية أن تخرج بنظريات تحل المشاكل التى تظهر فى المجتمعات العراقية والعربية والدولية من خلال الحوار الثقافى الناجح متأسين بما جاءت به النظرية القرآنية حول أهمية الحوار وكيفيته، فقد أعطى القرآن الكريم عدة أمثلة للحوار وعلى جميع المستويات، فكان حوار المؤتلف مع المؤتلف والمختلف مع المختلف والمؤتلف مع المختلف، والحوار المثالى الذى توفرت فيه كل مقومات الكمال ألا وهو حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة حين أراد استخلاف آدم (عليه السلام) فى الأرض.

إلا أن البحث سوف يبحث حوار موسى (عليه السلام) مع فرعون وملأه؛ وذلك لأهمية ما فى مناسبات وملابسات ذلك الحوار وكيفية تطبيقه على واقع الحال.

فجاء البحث مبنى على مقدمة وتمهيد ومبحثين، تناولت فى المقدمة مشكلة البحث، وكان التمهيد التعريف بمفردات العنوان، حتى جاء المبحث الأول فبحثت فيه نظرية الحوار فى

القرآن، ثم المبحث الثاني بحث فيه الحوار الثقافى الناجح مع الآخر، وكان لحوار موسى (عليه السلام) مع فرعون وملأه مثالا لذلك، ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع مسبوقه بأهم النتائج، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: الحوار فى اللغة والاصطلاح ومورد اللفظة فى القرآن الكريم

## ١ - الحوار لغة: قال ابن منظور (الحوؤ الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حَارَ إِلَى الشَّيْءِ

وعنه حَوْرًا وَمَحَارًا..... حار عليه أى رجع إليه) (ابن منظور، ٢٠٠٥م ١٤٢٦هـ، ج: ٤، ٢١٧) قال الراغب (الحوار التردد إما بالذات وإما بالفكر..... وحوار الماء فى الغدير تردد فيه) (الراغب: ١٤٠) ويرى السيد طنطاوى (حاور فلان فلانا فى الكلام إذا راجعه فيما يقوله) (السيد طنطاوى، ١٤٠٧هـ، ص ٤١١) ويبدو إن الطنطاوى قد وافق ابن منظور فيما يقول بأن الحوار هو بمعنى الرجوع.

وقد ذكر هذا المعنى اللغوى اغلب المفسرين عندما يصلون إلى تفسير قوله تعالى (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (المجادلة: ١) إذ يقولون إن التحوار بمعنى التراجع فى الكلام. (الرازى، ١٤٢٠هـ، ج: ١٠: ٢٥٤)، (الزمخشري، ٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ، ج: ٤: ٤٨٤)؛ (الطباطبائى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ج: ١٩، ٩٧)؛ (مكارم الشيرازى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ج: ١٨، ١٠٣)

## ٢ - الحوار فى الاصطلاح: عرفه الدكتور محمود البستاني بأنه: (المحادثة بين طرفين

أو أكثر وهذا كما لو تحدث شخص مع شخص آخر أو كما لو تحدث شخص مع نفسه ففى الحاليتين هناك طرفين يتم تبادل الحديث بينهما سواء كان الطرف شخصاً واحداً أو شخصين أو أكثر كما أن الأطراف الحوارية قد تكون متعددة كما لو هناك ثلاثة أشخاص أو أكثر يتحدثون فيما بينهم). (محمود البستاني، ١٤٢٧هـ، ص ٢٦٦) ويعرفه السيد محمد حسين فضل الله بأنه: حركة الإنسان من أجل إعطاء فكرته صفة الوضوح، التى تتمثل فى النفاذ إلى كل جانب من جوانبها لئلا تبقى هناك حاجة للاستفهام أو المعارضة، الناتجة عن خفاء بعض القضايا الملحة... وهنا يبرز الحوار الذاتى تارة، والحوار المشترك أخرى.. الذى يتدرج فيه الفكر من نقطة إلى أخرى، ومن مرحلة إلى ثانية، ليجمع فى إطاره كل النقاط وكل المراحل (محمد حسين فضل الله، ١٤٢١هـ، ص ٤٩) فمن خلال ما سبق يمكن القول إن الحوار: هو الكلام الذى

يجرى بين طرفين فى قضية ما على سبيل الوصول إلى نتيجة بغض النظر عن الدوافع التى من أجلها عقد الكلام.

### ٣- موارد لفظة (الحوار) فى القرآن الكريم:

لم ترد لفظة الحوار فى القرآن الكريم كثيرا وإنما جاءت فى ثلاثة مواضع اثنان منها فى سورة الكهف، فى معرض الحديث عن قصة صاحب الجنتين وحواره مع صاحبه الذى لا يملك الكثير من المال وغيره، قال تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْسًا) (الكهف: ٣٤) وقوله: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا) (الكهف: ٣٧) أما الآية الثالثة فقد جاءت فى سورة المجادلة فى قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ). (المجادلة: ١)

### المبحث الأول: نظرية الحوار فى القرآن الكريم

إن القرآن الكريم جاء كتاب هداية إلى الناس ومن أهم ما يهدى الناس به هو تعليمهم الكلام وآدابه وإن الحوار أحد أهم أصناف الكلام وبذلك فإن القرآن الكريم أخذ على عاتقه تبين وتعليم الناس (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ١٢٩) فالحوار من أهم الأمور التى اهتم بها القرآن الكريم وجعلها طريقا لتفاهم الناس فيما بينهم وحل مشاكلهم.

### أولاً: أركان الحوار - ينقسم الحوار إلى ركنين أساسيين هما

الطرف الأول: (المُلقى) أو المتكلم أو مبتدئ الحوار، والذى يكون متلقيا فى حال تكلم معه الطرف الثانى، فى حال أنهى الأول كلامه.

الطرف الثانى: (المتلقى) أو المستمع إلى كلام الطرف الأول ويكون ملقيا فى حال كلامه والطرف الأول مستمع، بعد إنهاء الأول كلامه



وسيركز البحث على الطرف الأول الذي هو الملقى أو مبتدئ الحوار والذي هو النبي موسى (عليه السلام) في حواريات القرآن الكريم والسبب في ذلك: هو أن البحث في معرفة أساليب وواجبات الطرف الأول سيتبين ويتضح الطرف الثاني.

## ثانيا: أنواع الحوار في القرآن الكريم من حيث المتحاورين

ينقسم الحوار من حيث المتحاورين في القرآن الكريم إلى:

١- حوار بين الله عز وجل والملائكة وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُسِفُ الدِّمَاءَ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (البقرة: ٣٠ - ٣٣)

٢- حوار بين الله عز وجل والأنبياء (عليهم السلام) وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم سيذكر البحث على سبيل المثال حوار الله (عز وجل) مع النبي موسى (عليه السلام)

٣- حوار بين الله عز وجل والشيطان، قال تعالى (قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ \* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ \* قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ \* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ \* قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَفُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ \* قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ). (الأعراف: ١٢ - ١٨)

٤- حوار بين الأنبياء وأقوامهم وهذا أيضا وارد كثيرا في القرآن الكريم. مثل قوله تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ \* أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ \* فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدْبَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ \* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَنِّي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَنْلِرُ مَكْمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) (هود: ٢٥ - ٢٨)

٥- حوار بين الأنبياء. مثل الحوار الذي جرى بين موسى (عليه السلام) وشعيب (عليه السلام) قال تعالى (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ رَبَّنَا مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا قَوْمًا فَاسِقِينَ) (سورة القصص: ٢٤ - ٢٥)

أَتَمَمْتُ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا تَقُولُ وَكَيْلٌ) (القصص: ٢٧)

٦- حوار الناس فيما بينهم قال تعالى (وَإِذْ عَلَّمْنَا نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (المائدة: ٢٧ - ٢٨)

٧- حوار مع النفس (محمود البستاني، ١٤٢٧هـ، ص ٢٦٦) مثل قوله تعالى (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (المائدة: ٣٠)

٨- الحوار المشترك وهذا الحوار يجمع الحواريات التي جرت بين الأنبياء (عليهم السلام) وأقوامهم إذ قال تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُبْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُوخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) (التوبة: ٩ - ١٠) ويكتفى البحث بما ذكر من أنواع الحوار في القرآن الكريم على سبيل الاختصار.

### ثالثاً: الفرق بين الحوار والجدال والحجاج

قد عرفنا الحوار في اللغة والاصطلاح بقى أن نعرف كلا من الجدال والحجاج كي تتمكن من معرفة الفرق بينها

أ- **الجدل**: قال الجوهري (وجادله، أى خاصمه، مُجادلةٌ وِجدالٌ؛ والاسم الجَدَلُ، وهو شدة الخصومة. وجدلتُ الحبلَ، أجدلتهُ جدلاً، أى قتلتُهُ قتلاً محكماً) (الجوهري، ٢٠٠٣م، ج: ١: ٨٤) وقال صاحب (جدل: حَصَمٌ، شَدِيدُ الْجَدَلِ. وَمِجْدَالٌ: مِخْصَامٌ. وَالْجَدَلُ: الصَّرْعُ، جَدَلْتُهُ فَإِنْ جَدَلَ) (الصاحب، ج: ٢، ٩٩) ومن الأصل اللغوي جاء التعريف الاصطلاحي وهو (أن يخوض الإنسان الصراع، من أجل فكرته ضد المعارضين له، فيتحول الموقف إلى صدام تجاذبه حالة الكر والفر والهجوم والدفاع، وتهيمن عليه أجواء التوتر الفكرى والنفسى والكلامى، من أجل الوصول إلى الغلبة إن كان هناك مجال للغلبة أو إلى التفاهم إن كان هناك

سبيل إليه) (محمد حسين فضل الله، ١٤٢١هـ، ٤٩) ويتضح ذلك عند التطرق للآيات القرآنية حيث قال تعالى (الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) (غافر: ٣٥) وكذلك قوله تعالى (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ) (الشورى: ٣٥) وكذلك قوله (وَيَسْبِغُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) (الرعد: ١٣) وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (غافر: ٥٦) من خلال ما سبق يتبين إن الجدل: هو حوار ولكن الغرض منه المفاتلة وإسكات الطرف الآخر إذ إن الغاية منه إسكات الآخر وإفتاله فتلاً بغض النظر عن النتائج الجانبية الأخرى.

وبذلك نستنتج إن كلمة الحوار أوسع مدلولاً من كلمة الجدل، باعتبار تضمن الكلمة الثانية معنى الصراع، بينما نجد الكلمة الأولى تتسع له ولغيره.

ب- المحاجّة: في معناها اللغوي يذكر ابن منظور (الحُجَّةُ البُرْهَانُ وَقِيلَ الحُجَّةُ مَا دُوْفِعَ بِهِ الخِصْمُ وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ الحُجَّةُ الوَجهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الخِصْمَةِ... ) (ابن منظور، ٢٠٠٥م ١٤٢٦هـ، ج: ٢، ٢٢٦) وقال الجوهري (والحُجَّةُ: البرهان. تقول حَاجَّه فحجَّه أى غلبه بالحُجَّةِ). (الجوهري، ٢٠٠٣م، ج: ١، ١١٥) وقال الرازي (والحُجَّةُ البُرْهَانُ وَحَاجَّه فحجَّه من باب رَدَّ أَى غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ) (الرازي، ١٩٨٨م، ص ٦٠) وهو في الاصطلاح (حوار يتضمن إما حجة أو شبهة في صورة الحجة، والحجة هي البيان الذي يشهد بصحة المقالة وهي الدلالة بمعنى واحد). (البحراني، ٥٨-٥٩)

وقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم في المحاجّة قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: ٢٥٨) وكذلك قوله تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (آل عمران: ٦٥ - ٦٦) وكذلك قول الله عز وجل (وَحَآجَّه قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَآجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي

شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) (الأنعام: ٨٠) ومن خلال ما تقدم يتضح إن المحاجة: هي نوع من أنواع الحوار بين طرفين مبنى على طريقة البرهان، وهو أحد مقومات الحوار الثقافي الناجح كما سيرد ذكره.

## رابعاً: مقومات الحوار الثقافي الناجح من خلال النظرية القرآنية

يرتكز الحوار الثقافي الناجح على جملة أمور هي:

١- لا بد للمحاور (الطرف الأول) أن يكون حواراً إما من أجل إعلاء كلمة الله وهذا الذي أرسل الأنبياء من أجله حيث جاءوا بتوحيد الله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ) (النحل: ٣٦) وخصوصاً أنبياء أولى العزم إذ أرسل الله نوح (عليه السلام) يأمرهم بعبادة الله (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا) (نوح: ١-٣) وكذلك إبراهيم (عليه السلام) (قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (الأنبياء: ٥٦) وكذلك موسى وعيسى والنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أو حواراً يكون طلباً لرضا الله أو يتقرب به إليه وهذا لا يختص به الأنبياء بل يكون عاماً، ومن مصاديقه أن يحاور الإنسان من أجل ترسيخ قضية ذات رؤى أخلاقية يريد أن يقنع الناس فيها.

ومن أهم المشاكل التي نعاني منها في الوقت الحاضر هو أن يحاور أحد الطرفين بما لا يرضى الله أو بما يسخطه ويغضبه، فهذا هو الحوار الذى لا يرتقى إلى أدنى مراتب النجاح، وإن مصاديق هذا الحوار كثيرة فمن يحاور من أجل الباطل أو نصرة للظالم أو الطاغية ومثال ذلك سحرة فرعون أو اليهود والنصارى الذين كانوا يجادلون النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مع علمهم بنبوته (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الصف: ٦) وأما في الوقت الحاضر فمصاديقه كثيرة. ولا بد من القول إن هذا الحوار وإن تبادل إلى ذهن القارئ أو المستمع أنه ناجح فإن هذا التبادل غير صحيح؛ لأن هذا النجاح آتى حيث لا يفلح هذا النوع من الحوار (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ



الْمُجْرِمُونَ) (يونس: ١٧) لأنه قد افتقر إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى وغايته الباطل ولا يفلح الباطل مطلقاً حيث أتى.

٢- الاحترام بين الطرفين الأول والثاني ويعد هذا من أهم مقومات الحوار الثقافي الناجح بل من دونه لا ينجح الحوار بغض النظر عن الاختلاف بين الطرفين سواء كان هذا الاختلاف في العقيدة أم في الديانة أو وجهات النظر أو الأفكار؛ وللأسف هذا ما نفتقر إليه في الوقت الحاضر حيث لو تأملنا في أغلب الحواريات التي تجرى في الوقت الراهن سنجدتها تفتقر الاحترام بين الطرفين ولا يقصد البحث الاحترام الشكلي أو المصطنع أو الوهمي الذي لا يؤدي غرضه وهو نجاح الحوار، فحينما يشتد الحوار ويصل إلى نقطة الخلاف فإنه يظهر كل من الطرفين على حقيقته إذ تنعدم الاحترامات بينهما؛ إذن ليس العبرة أن يتدئ الطرفين الحوار بالاحترام بل المهم أن يستمر في الاحترام إلى نهاية الحوار وان كان الطرف الثاني لا يحترم الطرف الأول ولكن لا بد للطرف الأول (الذي هو النبي في أغلب حواريات القرآن الكريم) من أن يبدأ باحترام الطرف الثاني ويستمر في ذلك فإنه سوف يؤثر في الطرف الثاني ولو بنسبة محددة. وهذا ما جاءت به النظرية القرآنية فللمتأمل في أول حوار جرى في الكون بين الله عز وجل والملائكة سيجده غاية في الأدب والاحترام.

قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ٣٠ - ٣٢) وهذا من أعظم حواريات القرآن الكريم خاصة إنه جرى بين الله رب العالمين من جهة والملائكة من جهة أخرى. إذ يستطيع الله أن يبين لهم انه ليس لكم حق الاعتراض أو الاستفهام أو معرفة سبب اختيار الخلافة للإنسان. ولكن الله قد ردَّ عليهم وبيّن لهم ذلك من خلال البرهان وأقنعهم عقلياً بأن الإنسان مفضل عليكم بعلمه حيث إن آدم أنباهم بما لا يعلمون به، ولذلك أقرؤا وعرفوا سبب إعطاء الإنسان الخلافة في الأرض، ويعد هذا الحوار هو الحوار المثالي على نطاق كل المقاييس ومن كل النواحي. وجاء هذا الحوار لكي يعلمنا كيف تتحاور فيما بيننا.



وبعد ذلك مباشرة يذكر لنا القرآن الكريم محاوره بين الخير والشر متمثلة بين من كان قمة بالأدب والخلق الرفيع وبين من لا يمتلك أدنى مستويات الأخلاق والآداب حيث قال تعالى (وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ تَبَاً ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتُقْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) (المائدة: ٢٧ - ٢٩) وإن كل الأنبياء في حوارياتهم مع أقوامهم قد ركزوا على عامل الاحترام (أى احترام الطرف الآخر) وخصوصاً أنبياء أولى العزم حيث ظهر ذلك جلياً في حوارياتهم ويستدل البحث في حوار موسى (عليه السلام) فقد نص عليه توصية من الله تعالى (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى \* قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى \* قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى \* فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَضْحَبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) (طه: ٤٣ - ٤٧) وما يستدل به على القول اللين هو قولهما والسلام على من اتبع الهدى.

أما رسولنا الكريم رسول الرحمة ونبي الأمة الذي لقب بالصادق لصدقه والأمين لأمانته فقد ذكر القرآن الكريم له مطلق حسن الخلق والأدب في التعامل مع الآخرين سواء كان داخل الحوار أو خارجه حيث قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩) وكذلك قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)

٣- تهيؤ الطرف الأول واستعداده قبل الخوض في الحوار حتى يضمن نجاح الحوار وإيجابيته. وهذه مهمة تقع على عاتق الطرف الأول ومن خلالها يتقن الحوار وإن خير مثال على ذلك ما جاء في القرآن الكريم من حوار وتوصيات من الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) حينما أرسله إلى فرعون حيث قال تعالى (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى \* قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى \* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيِّضًا مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى \* لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى \* اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا

بصيراً) (طه: ١٧ - ٣٥) ويفهم من الحوار الذي جرى بين الله عز وجل وموسى (عليه السلام) العمل على تهيئة موسى قبل الدخول فى الحوار مع فرعون وملاؤه وذلك من خلال رؤيته المعجزات العصا واليد البيضاء وطلب موسى (عليه السلام) مساعدة أخيه هارون فلو دخل موسى بالحوار من دون رؤية هذه المعجزات وهذا الدعم من قبل الله عز وجل (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه: ٤٦) فما كان حصل فى حوارهما؟ فلنتأمل فى الآيات القرآنية الآتية (فَلَمَّا آتَاهَا نُورًا مِنْ شَاطِئِ الْوَادِى الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) (القصص: ٣٠ - ٣٥) وسرعان ما دخل موسى بالحوار مع فرعون وملاؤه مستعدا ومتهيئا حتى أتت نتائج ذلك جلية بأروع وأكمل وأعلى درجات الايجابية فى الحوار (فَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ \* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مَنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَكُمْ أَجْمَعِينَ \* قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ \* إِنَّا نَنظُرُ أَنْ نُبَغِّضَ لَنَا رَبَّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ). (الشعراء: ٤٦ - ٥١)

من ذلك نفهم أنه لا بد من التهيؤ قبل الخوض فى الحوار سواء كان هذا التهيؤ نفسيا أم عقليا ولكنه مهم جدا لضمان ايجابية الحوار ونجاحه؛ وكذلك من أهميته إتقان ما سيلقيه الطرف الأول فى الحوار وإن كل ما يلقيه هو على وفق منهجية مدروسة ومتقنه.

٤- لا بد فى الحوار من الانطلاق من نقطة مشتركة يبتدىئ منها طرفا الحوار حتى يصلا إلى النتيجة وبذلك يكون الحوار ايجابيا. وان لم تكن هناك نقطة مشتركة ينطلق منها الطرفين فى الحوار فهنا لا بد للطرف الأول أو مبتدأ الحوار من إيجاد نقطة مشتركة يبدأ منها الحوار، ويمكن للبحث أن يسمى هذه النقطة مشكلة الحوار أو المشكلة التى من أجلها عقد الحوار، ولا بد من أن تكون هذه النقطة واحدة حتى يضمن نجاح الحوار وعدم تشتته وخروجه عن الموضوع بغض النظر عن نوع الموضوع، وهذا لا يعنى أن كل من الطرفين لا يمتلك نقطة ينطلق منها للحوار بل

هناك اختلاف بين نقطة كل من الطرفين. أو إن كل من الطرفين يمتلك عدة نقاط للحوار. وهذا يعد من أهم المشاكل التي يواجهها الحوار في الوقت الحاضر بل هذه المشاكل تجعل الحوار عقيماً لا جدوى فيه ولا فائدة منه، فينطلق سلبياً وينتهي فاشلاً.

٥- الاستدراج في الحوار وهو أنك تستدرج الطرف الثاني شيئاً فشيئاً وذلك عندما تبدأ من النقطة المشتركة بعد ذلك تستدرجه من خلال البرهان وتجعله يسلم بالبرهان ومن ثم تنتقل إلى البرهان الثاني والثالث حتى يصبح الطرف الثاني مدعناً أو مقراً بما تريد وقد حصل ذلك من خلال الاستدراج في الحوار. وأكثر ما يمكن تطبيق هذه النظرية في الحواريات العقائدية. وخصوصاً ما يعاينه العالم بصورة عامة والعراق بصورة خاصة من مشكلة الطائفية المقيتة وتأثيراتها حيث أصبح كل من طرفي الحوار يكفر الآخر ويبيح دمه؛ ولا بد من حل هذه المشكلة والعمل على إنجاح الحوار من خلال ما يقوم به الطرف الأول من استدراج الطرف الثاني شيئاً فشيئاً على سبيل الوصول إلى حل في أدنى حدوده هو أن لا يكفر أحدهما الآخر، وهذه بحد ذاتها تعد نتيجة إيجابية. فليس شرط إن يؤمن تماماً الطرف الثاني بما يطرحه الطرف الأول حتى ينجح الحوار، بل مجرد الوصول إلى نتيجة إيجابية بأدنى مستوياتها يعد ذلك الحوار إيجابياً.

٦- لا بد للطرف الأول في الحوار من أن يمتلك زمام المبادرة والسيطرة على الحوار خوفاً من التشييت ولضمان إيجابيته وهذا يتطلب اتقاناً وقدرة في السيطرة على الحديث وتسييره وذلك من خلال قلة الكلام والإجابة والطرح بحسب ما يريد هو. وإن أكثر ما تعالجه هذه النظرية في الوقت الحاضر هو انجرار الحوار إلى المسائل العقيمة والشائكة والتي تقتل الحوار، فيمكن للطرف الأول معالجتها من خلال السيطرة على الحوار. ويتجلى ذلك من خلال ما جاء في القرآن الكريم من حوار موسى (عليه السلام) وفرعون (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى \* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه: ٤٩ - ٥٥) وكذلك في قوله تعالى (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ \* قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) (الشعراء: ٢٣ - ٢٤)

فحينما سأل فرعون عن رب العالمين أجابه موسى (عليه السلام) إجابةً مختصرة مع العلم إنه

يستطيع التفصيل في ذلك خصوصاً إن السؤال يوجب إجابةً تفصيليةً ولكن موسى من أجل السيطرة على الحوار وحتى لا يفسح المجال لفرعون أن يورد الشبهات عليه التي إن أجاب عليها فإنَّ الملاء لا يفهمون كلامه ولكن عندما سمحت الفرصة وسيطر موسى على الحوار بين تفصيلاً من هو رب العالمين، وهذا من أهم ما يستدل به على السيطرة على الحوار وبذلك يضمن إيجابته.

## المبحث الثاني: الحوار بين نبي الله موسى (عليه السلام) وقومه

إن حوار موسى (عليه السلام) مع قومه انقسم إلى قسمين:-

أ- حوار مع فرعون وملأه

ب - حوار مع بنى إسرائيل.

وسوف يركز البحث على القسم الأول كونه يمثل الحوار مع الآخر.

إن حوار موسى (عليه السلام) مع فرعون وملأه تطرقت له عدة آيات ولكن قد ورد مفصلاً في سورة طه، وسوف يقوم البحث بدراسته على النحو الآتي:

### ١- حوار موسى (عليه السلام) مع فرعون:

إن حوار موسى مع فرعون ابتداءً بتكليف من الله (عز وجل) لموسى (عليه السلام) حيث أمره بالذهاب مع أخيه إلى فرعون وأوصاه بأن يقول له قولاً لنا، ومن هنا قد تطرق القرآن إلى أهم نقطة في حوار موسى مع فرعون وهو القول اللين، وهذا القول في هذه الآية قد احتوى جميع مقومات الحوار الناجح، فكان الطلب من أجل توحيد الله وإعلاء كلمته، وكان معبراً عن الاحترام الصادر من الطرف الأول متمثلاً بموسى وهارون (عليهما السلام)، ودائماً القول اللين يعطيك التهيؤ والاستعداد للحوار مع الآخر حتى وإن اختلف معك فكراً وعقيدة، واللين في القول من أحد خصائص الاستدراج في الهداية والتغيير، وهذا ما اتسم به الخطاب القرآني لتغيير الناس. وكذلك القول اللين يجعلك تمتلك زمام المبادرة في الكلام والسيطرة على الحوار من التشبث وذلك عندما يكون متقناً.



قال تعالى (اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّنَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) (طه: ٤٣-٤٤)

قال الرازي (أن من عادة الجبارة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا عتواً وتكبراً، والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر فلهذا أمر الله تعالى بالرفق) (الرازي، ١٤٢٠هـ ج ١٠: ٤١١)

وقال الشيرازي (بينت الآية طريقة التعامل المؤثرة مع فرعون، فمن أجل أن تنفذ إليه وتؤثر فيه) (مكارم الشيرازي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج: ١٠، ٦) وقد بين الشيخ مكارم الشيرازي الفرق بين (يتذكر) و (يخشى) قائلاً (والفرق بين «يتذكر» و «يخشى» هنا هو أنكما إذا واجهتماه بكلام لطيف، رقيق، ملائم، وتبينان في الوقت ذاته المطالب بصراحة وحزم، فيحصل أحد الاحتمالين: أن يقبل من صميم قلبه أدلتكما المنطقية ويؤمن، والاحتمال الآخر هو أن يخاف على الأقل من العقاب الإلهي في الدنيا أو الآخرة، ومن زوال ملكه وقدرته، فيذعن ويسلم ولا يخالفكما) (نفس المصدر) حيث أن هدف موسى (عليه السلام) هو إنجاح الحوار والخروج بنتيجة إيجابية؛ لذلك أمره الله بأن يقول له قول لين وإن أهم نقطة في الحوار إنك تؤثر على نفسك من أجل الأهداف السامية والغايات العليا وهذا ما تميز به الأنبياء قال الطباطبائي (و من أدبهم في المحاوراة و الخطاب أنهم كانوا ينزلون أنفسهم منزلة الناس فيكلمون كل طبقة من طبقاتهم على قدر منزلتهم من الفهم، وهذا ظاهر بالتدبر فيما حكى من محاوراتهم الناس على اختلافهم المنقولة عن نوح فمن بعده، وقد روى الفريقان عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم" (الطباطبائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ٦، ١٦٤) فلا بد للمحاور أن يتمتع بتوسعة من القول اللين والكلام الجميل والأدب الرفيع خاصة داخل الحوار ويتمم الفخر الرازي بنكتة جميلة (واعلم أن أحوال القلب ثلاثة. أحدها: الإصرار على الحق. وثانيها: الإصرار على الباطل. وثالثها: التوقف في الأمرين، وأن فرعون كان مصراً على الباطل وهذا القسم أردأ الأقسام فقال تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّنَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) فيرجع من إنكاره إلى الإقرار بالحق وإن لم ينتقل من الإنكار إلى الإقرار لكنه يحصل في قلبه الخوف فيترك الإنكار وإن كان لا ينتقل إلى الإقرار فإن هذا خير من الإصرار على الإنكار) (الرازي، ١٤٢٠هـ ج ١٠: ٤١١)

وقد أتم الحوار بقوله (فَأْتِيَاهُ فَقَوْلَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّا آتَاكَ الْهُدَىٰ \* إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ) (طه: ٤٧-٤٨)

وقد كان الطلب موجه من الله عز وجل إلى موسى وهارون ليذهبا إلى فرعون فيقولوا له أرسل معنا بنى إسرائيل. فإن القارئ للآيات من أول وهلة يتصور إن السبب الوحيد من مجيء موسى وهارون هو لطلب إرسال بنى إسرائيل معهم ولكن عندما يتأمل فى الآيات جيدا يجد أن هناك هدفا ثانيا مهما وهو دعوة فرعون للإيمان، والذي يدل على ذلك هو:

١- من البديهي عندما يأتيان إلى طاغية جبار ويطلبان منه ما طلبا فإنه سيسأل عدة أسئلة ويستفسر عن أسباب إرساله لبنى إسرائيل

٢- إن تهيو موسى وإرائته المعجزات خير دليل على أنه سيدخل فى حوار مع الطرف الآخر وهو فرعون حيث قال تعالى (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ \* اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا فَاْسِقِينَ). (القصص: ٣١-٣٢)

ومما يؤيد ذلك قول الشيخ مكارم الشيرازى (الصحيح أن دعوة موسى لم تكن من أجل نجاة بنى إسرائيل من قبضة الفراعنة فقط، بل كانت \_ وبشهادة سائر آيات القرآن \_ تهدف أيضا إلى نجاة فرعون والفراعنة أنفسهم من قبضة الشرك وعبادة الأوثان. إلا أن أهمية هذا الموضوع، وارتباطه المنطقي بموسى كان السبب فى أن يضع إصبعه على هذه المسألة بنفسه) (مكارم الشيرازى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج: ١٠، ١٠)

وقد بدا فرعون كلامه بسؤال (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى \* كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى \* وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى) (طه: ٤٩-٥٦) ويذكر الرازى نكتة جميلة جدا حول سؤال فرعون حيث قال (أنه سبحانه حكاه عنه فى هذه السورة أنه قال: (فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) وقال فى سورة الشعراء: (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) فالسؤال هاهنا (بمن) وهو عن الكيفية وفى سورة الشعراء (بما) وهو عن الماهية وهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة والأقرب أن يقال سؤال (من) كان مقدما على سؤال (ما) لأنه كان يقول إنى أنا الله والرب فقال فمن

ربكما، فلما أقام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لظهوره وجلائه عدل إلى المقام الثاني وهو طلب الماهية وهذا أيضاً مما ينه على أنه كان عالماً بالله لأنه ترك المنازعة في هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشرع في المقام الصعب لأن العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر) (الرازي، ١٤٢٠هـ، ج ١٠: ٤١٦) قال الطباطبائي (فقول فرعون: "فمن ربكما" ليس إنكاراً لوجود خالق الكل ولا إنكاراً أن يكون له إله كما يظهر من قوله: "و يذرك و آلهتك" وإنما هو طلب منه للمعرفة بحال من اتخذاه إلهاً و ربا من هو غيره؟ و هذا معنى ما تقدم أن فرعون يتغافل في قوله هذا عن دعوتهما إلى الله سبحانه و هما في أول الدعوة فهو يقدر و لو كتقدير المتجاهل أن موسى و أخاه يدعوانه إلى بعض الآلهة التي يتخذ فيما بينهم ربا من دون الله فيسأل عنه) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٨٧) ومن ذلك يتبين أن فرعون عندما سأل عن الله بهذه الصورة والكيفية حيث قال ربكما فإنه أراد أن يقول أنى أنا الرب فكيف تقول إن هناك إله غيرى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (القصص: ٤٨) وبذلك فإنه أراد أن يضل الناس ومما يدل على ذلك طلبه من هامان أن يبنى له صرحا لعله يطلع إلى إله موسى وبذلك فقد أوهم الناس (الملأ) حيث يعلم إنه لا يمكن رؤيته، ونظير ذلك المحاجة بين إبراهيم (عليه السلام) ونمرود (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: ٢٥٨) حيث أراد أن يوهم أنه يحيى ويميت أيضا.

وعندما جاء الرد من نبي الله موسى (عليه السلام) حيث قال تعالى (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه: ٥٠) فإن رد موسى (عليه السلام) باختصار مع العلم إن سؤال فرعون كان متشعب يحتاج إلى إجابة تفصيلية دقيقة، وإن كان قصير الكلمات فقد عرف الله بتعريف غاية في الروعة والجمال والإحكام مع قصره واختصاره وهذا ما يستفاد من حوار موسى إنه كلما كان الجواب أقصر في الرد على الطرف الآخر كان أكثر إحكاما ودقة وإنك لا تفسح للطرف الآخر مجالاً لكي يكثر من الأسئلة ويثير من الشبهات أضف إلى ذلك إنه كلما كان الجواب أقصر كان أسرع في الوصول إلى النتيجة وهذا مما يجعل الحوار ايجابيا. وبعد ذلك سأل



فرعون مرة أخرى قائلا (قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى) (طه: ٥١) قال الطباطبائي (أى ما حال الأمم و الأجيال الإنسانية الماضية الذين ماتوا و فنوا لا خبر عنهم و لا أثر كيف يجزون بأعمالهم و لا عامل فى الوجود و لا عمل و ليسوا اليوم إلا أحاديث و أساطير... و ظاهر الكلام أنه مبنى على الاستبعاد من جهة انتفاء العلم بهم و بأعمالهم للموت و الفوت كما يشهد به جواب موسى (عليه السلام) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٨٩) و يذكر الآلوسى فى تفسير الآية قائلا (لما شاهد للعين ما نظمه (عليه السلام) فى سلك الجواب من البرهان النير على الطراز الرائع خاف أن يظهر للناس حقية مقالاته (عليه السلام) و بطلان خرافات نفسه ظهوراً بينا أراد أن يصرفه (عليه السلام) عن سننه إلى ما لا يعنيه من الأمور التى لا تعلق لها فى نفس الأمر بالرسالة من الحكايات موهماً أن لها تعلقاً بذلك و يشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك إلى أن يدعى بين يدي قومه نوع معرفة) (الآلوسى، ج ١٢: ١٧٣) وأتم موسى (عليه السلام) قائلا (قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ ثَبَاتٍ شَتَّى \* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) (طه: ٥٢-٥٥)

### إذ انقسم رده إلى قسمين:

**الأول:** رده على فرعون وهذا واضح وجلي للقارئ إذ بين له إن القرون الأولى علمها عند الله فى كتاب لا يضل ولا ينسى.

**وأما الثانى:** فكان للقوم وهذا عندما تست له الفرصة ويفهم هذا من خلال سياق الآيات (لكم.... وأنعامكم... خلقناكم... ونعيدكم... الخ) حيث جاءت بصيغة الجمع، وقد وضح فى قوله صفات الله تعالى من المدبريه حيث أنه سهل لكم الأرض وجعل لكم فيها سبلا وكذلك الماء الذى ينزل من السماء بإذنه وهذا من أجلكم وقد اتضحت صفة المدبريه فى قوله كلوا وارعوا أنعامكم حيث أن ذلك يجرى بإذن الله ونعمته عليكم وهو الذى رزقكم إياها وبذلك فقد أبطل قول فرعون حيث كان يدعى إنه مدبر لأموهم قال تعالى (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)، (النازعات: ٢٤) وأتم قوله بتبيين صفات أخرى من صفات الله وهى الخالقية والميعاد وكذلك البعث بعد الموت وأخيرا فقد قام موسى (عليه السلام) بإظهار المعجزات، فكذب فرعون وأصر على الكفر قال الطباطبائي (و لقد أريناه آياتنا كلها فكذب و أبى "الظاهر أن المراد

بالآيات العصا و اليد و سائر الآيات التي أراها موسى فرعون أيام دعوته قبل الغرق كما مر في قوله: "اذهب أنت و أخوك بآياتي" فالمراد جميع الآيات التي أريها و إن لم يؤت بها جميعا في أول الدعوة كما أن المراد بقوله: "فكذب و أبى" مطلق تكذيبه و إباطه لا ما أتى به منهما في أول الدعوة.) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩١)

وعندما أدرك فرعون الخطر المحقق به و خشى من تصديق الملائكة لما قاله موسى (عليه السلام) فقال (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) (طه: ٥٧) حيث رماه بالسحر و بين للملائكة بأنه يريد أن يخرجكم من أرضكم. و مما يؤيد ذلك قوله في سورة يونس:

(فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ \* قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) (يونس: ٧٦-٧٧) فكان الادعاء نفسه وهو إنكما تريدان أن تخرجونا من أرضكم و تكون لكما الكبرياء. قال الطباطبائي (قال أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) الضمير لفرعون و قد اتهم موسى أولا بالسحر لئلا يلزمه الاعتراف بصدق ما جاء به من الآيات المعجزة و حقيقة دعوته، و ثانيا بأنه يريد إخراج القبط من أرضهم و هي أرض مصر، و هي تهمة سياسية يريد بها صرف الناس عنه و إثارة أفكارهم عليه بأنه عدو يريد أن يطردهم من بيئتهم و وطنهم بمكيدته و لا حياة لمن لا بيئة له) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩١) و أتم فرعون كما ورد في قوله تعالى (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوِيًّا) (طه: ٥٨) و يذكر الشيخ مكارم الشيرازي نكتة جميلة في تفسير هذه الآية حيث يقول (و ينبغي التذكير بأن الحكام الطغاة، و من أجل أن يهزموا خصمهم في المعركة، و يرفعوا معنويات أتباعهم و أعوانهم الذين ربما وقعوا تحت تأثيره) (كما في قصة موسى و معجزاته فلا يبعد أن يكونوا قد وقعوا تحت تأثيره) فإنهم يعيدون إليهم المعنويات و القوة، و يتعاملون في الظاهر مع أمثال هذه المسائل بصرامة و شدة، و يشيرون الصخب حولها). (مكارم الشيرازي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج: ١٠، ٢٢-٢٣)

وقد أجاب موسى عليه السلام قائلا (قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَى) (طه: ٥٩) قال الطباطبائي (الضمير لموسى و قد جعل الموعد يوم الزينة..... قال موسى موعداكم يوم الزينة و يوم حشر الناس في الضحى، و ليس من البعيد أن يكون مفعولا معه و المعنى موعداكم يوم الزينة مع حشر الناس في الضحى و يرجع إلى الاشتراط. و إنما اشترط ذلك ليكون ما يأتي به و

يأتون به على أعين الناس في ساعة مبصرة.) وأتم مكارم الشيرازي قائلاً (إلا أن موسى لم يفقد هدوء أعصابه، ولم يدع للخوف من عنجهية فرعون إلى قلبه طريقاً، بل قال بحزم: (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى) إن التعبير بل (يوم الزينة) إشارة إلى يوم عيد كان عندهم لا نستطيع تعيينه بدقة، إلا أن المهم هو أن الناس كانوا يعطلون أعمالهم فيه، وكانوا حتماً مستعدين للمشاركة في مثل هذا «المشهد».) (مكارم الشيرازي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ج: ١٠، ٢٣)

## ٢- حوار موسى (عليه السلام) مع السحرة

ابتدأ موسى (عليه السلام) حوار مع السحرة بوعظهم وتنبههم قبل أن يبدأ الحوار حيث قال تعالى (قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ \* فَتَنَّا زُجْرًا وَأَمْرُهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسْرُوا النَّجْوَىٰ \* قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ \* فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَتَىٰ \* قَالَ بَلْ أَتَقُوا فِإِذَا حَبَّالَهُمْ وَعَصِيهِمْ يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمَا تُسْعَىٰ \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُوسَىٰ \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ \* وَالَّذِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ \* قَالَتِي السَّحْرَةُ سُجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ) (طه: ٦٠-٦٩) قال الطباطبائي (ظاهر السياق أن المراد بتولي فرعون انصرافه عن مجلس المواعدة للتهيؤ لما واعد، والمراد بجمع كيده جمع ما يكاد به من السحرة و سائر ما يتوسل به إلى تعمية الناس و التلبس عليهم و يمكن أن يكون المراد بجمع كيده جمع ذوى كيده بحذف المضاف و المراد بهم السحرة و سائر عماله و أعوانه و قوله: "ثم أتى" أي ثم أتى الموعد و حضره.) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩١) وقال الجزائرى (ما زال السياق فى الحوار الدائر بين موسى (عليه السلام) والسحرة الذين جمعهم فرعون للمباراة فأخبر تعالى عن موسى أنه قال لهم مخوفاً إياهم عليهم يتوبون: (ويلكم لا تفتروا على الله كذباً) أى لا تقولوا على الله فتنسبوا إليه ما هو كذب (فيسحطكم بعذاب) أى يهلككم بعذاب إبادة واستئصال. (وقد خاب من افترى) أى خسر من كذب على الله أو على الناس) (الجزائرى، ج: ٢: ٤٤٣) وقد قال ابن كثير فى كلام موسى لهم (لا تُخِيلُوا للناس بأعمالكم إيجاد أشياء لا حقائق لها، وأنّها مخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونون قد كذبتهم على الله، (فيسحطكم بعذاب) أى: يهلككم بعقوبة هلاكاً لا بقية له، (وقد خاب من افترى \* فتنازعوا أمرهم بينهم) قيل: معناه: أنهم

تساجروا فيما بينهم فقائل يقول: ليس هذا بكلام ساحر، إنما هذا كلام نبي. وقائل يقول: بل هو ساحر) (ابن كثير، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ج ٥: ٣٠١) وأتم الجزائري قائلًا (ولما سمعوا كلام موسى هذا اختلفوا فيما بينهم هل صاحب هذا الكلام ساحر أو هو كلام رسول من فى السماء) (الجزائرى، ج ٢: ٤٤٣) ومن خلال ما سبق يتضح أن موسى (عليه السلام) نههم قبل أن يبدءوا ويدخلوا فى المحاوره أن ارجعوا إلى صوابكم ولا تفتروا على ربكم وقد تكلم بلهجة شديدة وقوية وكان ذلك بسبب إيمانه بالله حيث قال تعالى (قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى {٤٥} قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه: ٤٥ - ٤٦) حيث كان يتحدث بثقة عالية أمام ذلك الجمع الغفير مع العلم إنه لا يملك إلا نفسه وأخيه هارون وإن الباقين كلهم من ملأ فرعون وسحرة ومن جاء ليشاهد ما سيحصل فى هذا الحدث المهم فالتأمل فى هذا الموقف سيجده غاية فى الصعوبة وهذا ما كان يخطر ببال فرعون وملأه والسحرة حيث كانوا يتوقعون أنهم سيغلبون. ولكن عندما تكلم موسى بهذه الطريقة وهذه اللهجة استغربوا من ذلك وتنازعوا فيما بينهم وبدأ الخوف يضربهم من الأعماق. وهذا هو المهم حيث لا بد لمن يحاور أن يتمتع بالثقة العالية وأن يوصل الرسالة للطرف الآخر إنه فى موقف قوى وهذا ما كان عليه موسى (عليه السلام) لأنه كان مع الله. قال الطباطبائى (فالرأى هو أن يجمعوا كل كيد لهم ثم يدعوا الاختلاف و يأتوا صفا حتى يستعلوا وقد أفلح اليوم من استعلى. فأكدوا عليهم القول بالتسويل أن يتحدثوا و يتفقوا و لا يهنوا فى حفظ ملتهم و مدنيتهم و يكروا على عدوهم كرة رجل واحد، و شفع ذلك فرعون بمواعد جميلة و عدهم إياها كما يظهر من قوله تعالى فى موضع آخر: "قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين، قال نعم و إنكم إذا لمن المقربين) (الطباطبائى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩٣)

وبعد ذلك بدأت المحاجّة بقول السحرة (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَن تُلْقَى وَإِنَّمَا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى \* قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حَبَالُهُمْ وَعَصِيْبُهُمْ يَخِيْلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَى \* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى \* وَآلِقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) (طه: ٦٥ - ٦٩) قال الطباطبائى (قيل فأتوا الموعد و قد حضره موسى فقيل فما فعلوا؟ فقيل: "قالوا يا موسى إما أن تلقى - أى عصاك - و إما أن نكون أول من ألقى" و هذا تخيير منهم لموسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يصبر حتى يلحقوا ثم يأتى بما يأتى، "قال

موسى: بل ألقوا" فأخلى لهم الظرف كى يأتوا بما يأتون به و هو معتمد على ربه واثق بوعدده من غير قلق و اضطراب و قد قال له ربه فيما قال: "إنتى معكما أسمع و أرى) (الطباطبائى، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩٣) وقال الفخر الرازى (وقالوا: (إِمَّا أَنْ تُلْقَى) لدلالة ما تقدم عليه وقوله: (إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نُكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى) معناه إما أن تلقى ما معك قبلنا، وإما أن تلقى ما معنا قبلك، وهذا التخيير مع تقديمه فى الذكر حسن أدب منهم وتواضع له، فلا جرم رزقهم الله تعالى الإيمان ببركته، ثم إن موسى (عليه السلام) قابل أدبهم بأدب فقال: (بَلْ أَلْقُوا) (الرازى، ١٤٢٠هـ ج ١٠: ٤٣٣) وقال مكارم الشيرازى (قال بعض المفسرين: إن اقتراح السحرة هذا إما أن يكون من أجل أن يسبقهم موسى (عليه السلام)، أو إنّه كان احتراماً منهم لموسى، وربما كان هذا الأمر هو الذى هبأ السبيل إلى أن يذعنوا لموسى (عليه السلام) ويؤمنوا به بعد هذه الحادثة) (مكارم الشيرازى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ج: ١٠، ٢٩) ويذكر الفخر الرازى نكتة جميلة حول الآية الكريمة إذ قال (السؤال لم قدمهم فى الإلقاء على نفسه..... والجواب أنه (عليه السلام) كان قد أظهر المعجزة مرة واحدة فما كان به حاجة إلى إظهارها مرة أخرى والقوم إنما جاؤوا لمعارضته فقال (عليه السلام): لو أنى بدأت بإظهار المعجزة أولاً لكنت كالسبب فى إقدامهم على إظهار السحر وقصد إبطال المعجزة وذلك غير جائز، ولكنى أفض الأمر إليهم حتى أنهم باختيارهم يظهرون ذلك السحر ثم أنا أظهر المعجز الذى يبطل سحرهم فىكون على هذا التقدير سبباً لإزالة الشبهة) (الرازى، ١٤٢٠هـ ج ١٠: ٤٣٣) وبعد ذلك القى السحرة حبلهم وعصيهم فسحروا أعين الناس قال تعالى (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ \* وَيَجْعَلُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ). (يونس ٨٢-٨١) قال الطبرى (ألقوا ما معهم من الحبال والعصى، فإذا حبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه عنه، وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم، فخيّل حينئذ إلى موسى أنها تسعى) (الطبرى، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ج: ١٨، ٣٣٦) وقال الرازى (قال ابن عباس رضى الله عنهما: (أَلْقُوا حبالهم وَعَصِيَهُمْ) ميلاً من هذا الجانب وميلاً من هذا الجانب فخيّل إلى موسى (عليه السلام) أن الأرض كلها حيات وأنها تسعى فخاف فلما قيل له: (أَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا) ألقى موسى عصاه فإذا هى أعظم من حبالهم وعصيهم ثم أخذت تزداد عظماً حتى ملأت الوادى ثم صعدت وعلت حتى علقت ذنبها بطرف القبة..... فصاح موسى (عليه

السلام) فأخذها فإذا هي عصى كما كانت ونظرت السحرة فإذا هي لم تدع من حبالهم وعصيهم شيئاً إلا أكلته فعرفت السحرة أنه ليس بسحر وقالوا أين حبالنا وعصينا لو لم تكن سحراً لبقيت فخرنا سجداً وقالوا (آمنّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) (الرازي، ١٤٢٠هـ ج ١٠: ٤٣٤) وأتم الرازي قائلاً (يَخِيلُ إِلَيْهِ) كناية عن موسى (عليه السلام) والمراد أنهم بلغوا في سحرهم المبلغ الذي صار يخيل إلى موسى (عليه السلام) أنها تسعى كسعى ما يكون حياً من الحياة لا أنها كانت حية في الحقيقة ويقال إنهم حشوها بما إذا وقعت الشمس عليه يضطرب ويتحرك. ولما كثرت واتصل بعضها ببعض فمن رآها كان يظن أنها تسعى، فأما ما روى عن وهب أنهم سحروا أعين الناس وعين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك) (نفس المصدر، ج ١٠: ٤٣٥) قال الطباطبائي (فإذا حبالهم و عصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" فيه حذف، و التقدير: فألقوا و إذا حبالهم و عصيهم إلخ، و إنما حذف لتأكيد المفاجأة كأنه (عليه السلام) لما قال لهم: بل ألقوا، لم يلبث دون أن شاهد ما شاهد من غير أن يتوسط هناك إلقاءهم الحبال و العصى.

و الذى خيل إلى موسى خيل إلى غيره من الناظرين من الناس كما ذكره فى موضع آخر: "سحروا أعين الناس و استرهبوهم:" (الأعراف: ١١٦)، غير أنه ذكر هاهنا موسى من بينهم) (الطباطبائي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩٣) للممتنع لحوار موسى (عليه السلام) و من خلال ما سبق من آيات و أقوال للمفسرين سيجد أن الحوار كان قمة فى الروعة و قد صورته القرآن أجمل تصوير حيث بين جزئياته الدقيقة و كل جزئية كان لها دورا مهما ولو لم يكن الحوار بهذه الدرجة من الإتقان لما ألقى السحرة سجدا حيث أنهم عندما خيروه فى الإلقاء قال لهم ألقوا أنتم أولا ولو ألقى هو أولا لربما امتنع السحرة من الإلقاء لما يروه من معجزه و لم يكن ذلك ذا وقع لدى الحاضرين و كذلك لدى فرعون و ملأه وهنا يكمن التسديد الإلهى من جانب و إتقان الحوار من جانب آخر. حيث لا بد للمحاور أن يتقن كل ما يريد أن يقوله أو يفعله حتى ينجح الحوار فعندما ألقى موسى عصاه بعدما ألقوا فكانت المعجزة ليست بتحويل العصا إلى أفعى حقيقية بل إن هذه الأفعى أخذت تلتهم العصى و الحبال مع العلم إنه لم يكن واجبا الاتهام حيث أن أصل المعجزة هو تحويل العصا إلى أفعى (وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) (الأعراف: ١١٧) و قد عبر الله تعالى عن قدرتها بالفعل (تلقف) و ذلك كان أوقع فى نفوس

الحاضرين وإقناع المعاندين وقد أتت ثمار هذا الحوار واضحة وجليه وهذا من خلال قوله تعالى في إتمام الحوار (وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى \* فَأَلْقَى السَّحْرَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى \* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا شَدِيدًا وَعَذَابًا وَأَبْقَى \* قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (طه: ٦٩ - ٧٣) وكذلك في سورة الشعراء فقال تعالى (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ \* فَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ \* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ \* قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ \* قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ \* إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) (الشعراء: ٤٥ - ٥١) فبعدها تمت المعجزة من موسى (عليه السلام) و بحضور ذلك الجمع الكبير من السحرة وفرعون وملاه والناس الحاضرة فقد آمنوا من هم أرقى القوم علما، وبما كانوا يشتهروا به من علمهم وكان هذا الإيمان فعليا وقوليا من خلال قوله تعالى (فَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ \* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء: ٤٦ - ٤٧) فسجودهم مباشرة بعدما رأوا المعجزة وبعد ذلك قولهم لموسى آمنا برب العالمين. وهذا ما يكون أوقع وأكثر تأثيرا للمتلقى سواء كان حاضرا أم لا. وإن أهم نتيجة في هذا الحوار هو إيمان السحرة.

وللمتبع لحوار موسى (عليه السلام) مع فرعون سيجد أن الحوار قد استنفذ جميع مقومات الحوار الناجح وذلك من خلال المحاجة التي جرت بين موسى وفرعون والسحرة الذين آمنوا حينئذ والذين هم أرقى طبقة في المجتمع الفرعوني فهذا يعتبر من أعلى درجات التطور في الحوار وهو أن يؤمن القوم آتيا. وإن فرعون في ذلك الوقت أخذته العزة بالإثم وقال (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا شَدِيدًا وَعَذَابًا وَأَبْقَى) (طه: ٧١) قال الطباطبائي (حتى إذا حضره و اجتمعوا على مغالته تخاذلوا و انهزموا عنه و آمنوا و اتبعتهم العامة فذهبت طريقتهم المثلى من بينهم و أخرج من لم يؤمن منهم قال تعالى في موضع آخر: "إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها:"، (الأعراف: ١٢٣) و إنما رماهم بهذا القول تهيبجا للعامة عليهم كما رمى

موسى (عليه السلام) بمثله فى أول يوم) (الطباطبائى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩٦) وقال الرازى: (ثم بعد إيراد الشبهة اشتغل بالتهديد تنفيراً لهم عن الإيمان وتنفيراً لغيرهم عن الاقتداء بهم فى ذلك فقال: (لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) (الرازى، ١٤٢٠هـ، ج: ١٠: ٣) ويذكر الطباطبائى قائلاً (ظهر ذلك كله بالتدبير فى المحاوراة الجارية بين فرعون وبينهم إذا قيس بين القولين ففرعون فى غفلة من مقام ربه لا يرى إلا نفسه و يضيف إليه أنه رب القبط و له ملك مصر و له جنود مجندة، و له ما يريد..... و لا يذعن قلوبهم و لا توقن بحق إلا عن إجازته و هو قوله للسحرة: "أمنتم له قبل أن أذن لكم) (الطباطبائى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩٦)

وقال صاحب تفسير اللباب (اعلم أن فرعون لما شاهد منهم السجود والإقرار خاف أن يصير ذلك سبباً لاقتداء سائر الناس بهم فى الإيمان بالله وبرسوله ففى الحال ألقى هذه الشبهة فى النبى، وهى مشتملة على التنفير) (ابن عادل، ١٤١٩هـ، ج: ١١، ٢٠٠) ومن خلال ما سبق يتبين أن فرعون أصبح فى موقف محرج بعدما هزم فى الحوار أمام الملائة فخشى من إيمان الناس بموسى فقام على أسلوب الحوار إلى التهريب والقتل والتخويف وهذه هى عادة الجابرة فعندما يهزموا بالعلم والمعرفة والحجة فيعتمدوا أسلوب القتل والتهريب وقد قال فرعون ذلك لتخويف الناس وليبقى محافظاً على سلطته وملكه من أن يزول فبمجرد إيمان الناس ينتهى ملكه وسلطانه ففعل ذلك ولكن الرد من السحرة كان غايةً فى الروعة وهذا هو حال من آمن بالله فإنه لا يهمله عذاب الدنيا ولا يخشى السلاطين حيث قالوا، قوله تعالى: "قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات و الذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا" كلام بليغ فى منطوقة بالغ فى مفهومه بعيد فى معناه رفيع فى منزلته يعلى و يفور علماً و حكمة فهؤلاء قوم كانوا قبل ساعة و قد ملأت هيبة فرعون و أبهته قلوبهم و أذلت زينات الدنيا و زخارفها التى عنده - و ليست إلا أكاذيب خيال و أباطيل وهم - نفوسهم يسمونه ربا أعلى و يقولون حينما ألقوا حبالهم و عصيهم: "بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون" فما لبثوا دون أن ظهرت لهم آيات الحق فبهرت أبصارهم فطاحت عند ذلك ما كانوا يرون لفرعون من عزة و سلطان و لما عنده من زينة الدنيا و زخرفها من قدر و منزلة و غشيت قلوبهم فأزالت منها رذيلة الجبن و الملق و إتباع الهوى و التوله إلى سراب زينة الحياة الدنيا و مكنت فيها التعلق بالحق و الدخول تحت ولاية الله و الاعتزاز



بعزته فلا يريدون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ ولا يرجون إلا الله ولا يخافون إلا الله عز اسمه. (الطباطبائي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج: ١٤، ٩٥) وبعد ما قال فرعون ما قال تكلم السحرة وثبتوا موقفهم.

وللمتأمل في كلامهم سيجد الفرق واضحا قبل الإيمان وبعده حيث قبل الإيمان لم يكونوا يمتلكوا هذه الثقة التي هم عليها الآن حيث عندما وجههم ونصهم موسى وجاء بقوله تعالى (قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحِتِكُمْ بَعْدَ مَا وَقَدْ خَابَ مِنِّي افْتِرَىٰ) (طه: ٦١) فتنازعا فيما بينهم حيث أن كلام موسى قد هزهم من الأعماق مع العلم انه لم يكن فيه تهديد دينوي بقتل بأى صورة أو شكل من الأشكال وأما بعد إيمانهم ومع حدة فرعون وترهيبه إياهم حيث وعدهم بالقتل بأشع صورة وإنهم ثبتوا على موقفهم وهذا هو الإيمان الحقيقي وحكى قوله تعالى عنهم (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبَتِكُمْ أَجْمَعِينَ \* قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) (الشعراء ٤٩ - ٥٠) ومن خلال ذلك يتجلى لنا الحوار الناجح وتطوره تدريجيا فى مستوى التفكير وأسلوب الطرح وأسلوب تقبل الطرف الآخر بالحوار وليس للبحث أن يسرد كل ما جاء فى القرآن الكريم من حوار موسى (عليه السلام) مع قومه بقدر ما يريد أن يثبت تطور هذا الحوار وكيفيته.



١- الحوار المثالي: إن الحوار الذى جرى بين الله والملائكة يعد حوارا مثاليا على نطاق كل المقاييس ومن كل النواحي للأسباب الآتية:

أ- عدم تساوى طرفى الحوار فى المرتبة، أى إن الطرف الأول هو الله (عز وجل) والطرف الثانى هو الملائكة، ولا يمكن قياس فى المرتبة وذلك لان الطرف الأول هو الله (عز وجل)، ومع ذلك فقد تم الحوار.

ب- ايجابية الحوار بنسبة ١٠٠%، وذلك لأنه استمد ايجابيته من ايجابية الطرف الأول والثانى فأصبح ناجحا.

ج- الاحترام بين طرفى الحوار، الله (عز وجل) والملائكة، وقد جرى حوار بين الله (عز وجل) والشيطان حيث قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ \* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ \* قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ \* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ \* قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ \* ثُمَّ لَا تَبْنَاهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ \* قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) (الأعراف: ١١-١٧) إذ إن الطرف الثانى لم يكن مؤدبا فى الحوار.

د- طريقة الاستدلال وطرح البرهان والدليل، اذ قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (البقرة: ٣٠-٣٢) وإن هذا البرهان والدليل القاطع هو الذى ميز الحوار وجعله مثاليا؛ لذلك كانت المحاجة من أرقى أنواع الحوار.

٢- إن أهم نتيجة فى حوار موسى (عليه السلام) هو إيمان السحرة حيث يعتبر السحرة أرقى

القوم علما وتديبرا وحيلة، وهذا سر الحوار الثقافى الناجح.



٣- وللمتبع لحوار موسى (عليه السلام) مع فرعون سيجد أن الحوار قد تطور وذلك من خلال المحاجّة التي جرت بين موسى وفرعون والسحرة (وجود البرهان)، فهذا يعتبر من أعلى درجات التطور في الحوار وهو أن يؤمن القوم أنيا، وذلك من خلال الاستدراج والقول اللين وتقديم البرهان في إقناع الآخر بالقضية

٤ عالمية القرآن الزمانية والمكانية فهو المداد الذي لا ينتهى ومنه يستمد الإنسان قانون حياته الذي منه كيفية التماور ثقافيا مع الآخر.



- ١- القرآن الكريم
- ٢- الآلوسی، الفضل شهاب الدین السید محمود. (٥١٢٦هـ). **روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی**، ضبطه وصححه: علی عبد الباری عطیة، ط١. بیروت: دار الکتب العالمیة.
- ٣- الجزائری، **أبو بکر**. أیسر التفاسیر. موقع التفاسیر <http://www.altafsir.com>
- ٤- الجوهری، إسماعیل بن حماد الجوهری. (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). **الصحاح المسمی تاج اللغة وصحاح العربیة**. ط١. بیروت. لبنان: دار الفکر.
- ٥- الدمشقی، ابن کثیر. (١٤١٤هـ-١٩٩٣م). **تفسیر القرآن العظیم**. ط٢. دار الخیر.
- ٦- الرازی، فخر الدین. (١٤٢٠هـ). **مفاتیح الغیب التفسیر الکبیر**. ط٣. بیروت. لبنان: دار إحياء التراث العربی.
- ٧- الرازی، محمد بن أبی بکر بن عبد القادر. (١٩٨٨م). **مختار الصحاح**. بیروت. لبنان: منشورات دار ومکتبة الهلال.
- ٨- الراغب الأصفهانی، أبی القاسم الحسین بن محمد. ضبط: هیشم طعیمی. ط١. العربی بیروت. لبنان: دار إحياء التراث.
- ٩- الزمخشری، أبی القاسم جار الله محمد بن عمر بن محمد. (٢٠٠٣م ١٤٢٤هـ). **الکشاف عن حقائق التنزیل وعیون الأقاویل فی وجوه التأویل**. ط٣. بیروت. لبنان: دار الکتب العالمیة.
- ١٠- الصحاح بن عباد، **المحیط فی اللغة**، موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>
- ١١- الشریف الرضی. (١٤١٤هـ). **نهج البلاغة**. تحقیق: السید صادق الموسوی. ط١، بیروت. لبنان: الدار الإسلامیة.
- ١٢- الطبری، ابن جعفر محمد بن جریر. (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م). **جامع البیان فی تفسیر القرآن**. ط٤. بیروت - لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- ١٣- ابن عادل. (١٤١٩هـ). **تفسیر الباب فی علوم الکتاب**. ط١. تحقیق: عادل أحمد عبد الموجود و علی محمد معوض. دار الکتب العلمیة.
- ١٤- الطباطبائی، محمد حسین. (١٤١٧هـ-١٩٩٧م). **المیزان فی تفسیر القرآن**. ط١. بیروت. لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمی.

- ١٥- فضل الله، محمد حسين. (١٤٢١هـ). **الحوار في القرآن قواعده**، أساليبه، معطياته. ط٦. بيروت: دار الملاك للطباعة.
- ١٦- الطنطاوي، محمد سيد. (١٤٠٧هـ). **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط٣.
- ١٧- البستاني، محمود. (١٤٢٧هـ). **دراسات في علوم القرآن الكريم**. الطبعة الأولى. إيران. قم: مدينة العلم.
- ١٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. (٢٠٠٥م ١٤٢٦هـ). **لسان العرب**، حققه: عامر احمد حيدر. راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم. منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العالمية.
- ١٩- مكارم الشيرازي، ناصر. (١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م). **الأمثل في تفسير القرآن العظيم**. ط١. بيروت. لبنان.
- ٢٠- البحراني، يحيى بن حسين بن عشيرة. **بهجة الخاطر ونزهة الناظر في الفروق الفردية اللغوية والاصطلاحية**. تحقيق: السيد أمير رضا عسكري.

